



## دَوْرُ الْمَسِيحِ الْمَوْعُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي إِحْيَاءِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

### تميم أبو دقة

آلف الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام زهاء ٢٢ كتاباً باللغة العربية الفصيحة والبلغة، قدّم فيها مبادئ الإسلام الحقّة وتعاليمه السامية، وضمّن ألفاً آيات من الأشعار الرائعة في العرفان الإلهي ومدح النبي صلى الله عليه وآله وإظهار مزاياه العظيمة ومدح الإسلام والقرآن الكريم. لقد تجلّت في هذه الكتابات آية عظيمة؛ وهي تعلّم حضرته الإعجازي لأربعين ألفاً من اللغات العربية في ليلة واحدة، إذ علمه الله تعالى الجذور والنحو والصرف والأساليب والتراث والشعر والأدب والأمثال والثقافة العربية واللهجات العربية الفصيحة المتنوعة. ولقد ظهر هذا التعلّم في قوة لغته فتحدى الخصوم مراراً للبيان بمثل كتاباته ومجزوا عن ذلك، كما تجلّى في تطعيم كتاباته وأشعاره بالتراث العربي ومُلحّه، بل وفي تجديد اللغة وربطها بتراثها، بل وفي إنشاء حركة للحفاظ على التراث العربي واستدامة ربط ماضيها بحاضرها معاكساً بذلك تياراً كان قد ساد في العالم العربي وسعى إلى تسطيح اللغة بل وإهمالها والتخلي عنها، بل تقدّم درجة بإعلان أن الله تعالى قد علّمه بأن العربية هي أمّ الألسنة وأعظم لغات العالم بلا منازع، وقدّم الأدلة العديدة على ذلك وتحدى بها. وفي المقالات التالية سيتضح جانب من أعمال حضرته ومظاهرها، كما سيُرَدُّ تلقائياً على الاعتراضات حول اللغة العربية وعلى رأسها الاتهام بالسرقة من كتب الأدب العربي كالحريري والهمذاني وكذلك من الشعر الجاهلي.

كانت هذه الموجة في الواقع ليست إلا جانباً لموجة الإلحاد التي بدأت تسود العالم العربي والإسلامي، وبسبب ارتباط العربية بالإسلام أصبح واجباً التخلص من العربية أو القضاء عليها أو قطع الصلة مع جذورها لخدمة هذه الموجة، لأن بقاء الإسلام مرتبط بالعربية وبقاء العربية مرتبط بالإسلام. ولا شك أن عدداً من الأدباء والشعراء العرب كانوا ضدّ هذه الموجة، وكان منهم الشاعر الكبير حافظ إبراهيم الذي كتب قصيدة مؤثّرة على لسان العربية قال فيها:

في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، كانت اللغة العربية تبدو وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، وبدأت موجة بين المثقفين العرب تنادي بهجرة اللغة العربية وعدم السعي لتطويرها واستبقائها مدعّين بأنها لا تصلح للعلوم الحديثة، وأنها صعبة التعلّم والتعليم، وقد انتهى دورها، وأصبح واجباً استبدالها بصورة ما، سواء باستخدام اللهجات العربية وتقنينها أو باعتماد اللغات الأجنبية خاصة في العلم والتعليم.



وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي  
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْرَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي  
رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بِنَاتِي  
وَمَا ضَعْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ  
وَتَنَسَّقُ أَسْمَاءَ الْمُخْتَرَعَاتِ؟  
فَهَلْ سَاءَ لَوْ الْغَوَاصُ عَنْ صِدْفَاتِي؟  
وَمَنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي  
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي  
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ!  
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ  
يُنَادِي بِوَادِي فِي رَيْعِ حَيَاتِي؟  
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ  
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي  
لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ  
حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ  
مِنَ الْقَبْرِ يَدِينِي بغيرِ أَنَاةِ  
فَاعْلَمْ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي  
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرِوَاةِ؟  
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ  
مَشْكَالَةُ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ  
بَسَطْتُ رِجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايَتِي  
وَتُنَيْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي  
مَكَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي  
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي  
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَّاسِي  
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً  
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ  
أَنَا الْبَحْرِي فِي أَحْشَاءِهِ الدَّرَكَامِنِ  
فِيَا وَمَحْكُمِ أَيْلِي وَتَبْلِي مَحَاسِنِي  
فَلَا تَكْلُونِي لِلرِّمَانِ فَإِنِّي  
أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً  
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُجْرَاتِ نَفْسِنَا  
أَيْطَرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبُ  
وَلَوْ تَرَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلَّمْتُمْ  
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا  
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْبَيْلَى وَحَفِظْتُهُ  
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقُ  
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَّادِ مَكْرَفًا  
وَأَسْمَعُ لِلْكَتَابِ فِي مِصْرَ صَبِيحَةَ  
أَيُّمَجْرِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ  
سَرَتْ لَوْثَةٌ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا مَكَا سَرَى  
فَجَاءَتْ كُتُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُفْعَةً  
إِلَى مَعْشَرِ الْكُتُبِ وَالْجَمْعُ حَافِلُ  
فَأَمَّا حَيَاةٌ تَبَعْتُ الْمَيِّتَ فِي الْبَيْلَى  
وَأَمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ



أدبه نسائم الأصالة والعراقة.

وفي ظل هذه الظروف، وفي حلقة هذا الزمان، شاء الله تعالى أن يحيي الإسلام ويحيي العربية معه، فأرسل المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لينفخ روحا في الإسلام ويعيده إلى مجده وقوته، ويُعلي حجته الدامعة وتظهر على الإلحاد والأديان والفلسفات كَلِّها، وسلِّحه بعربية إِعْجازية رائعة بديعة أعادت ربط الأدب العربي بالتراث، فكتب شعرا ونثرا حاكى فيه بدائع الأدب العربي، وقَدَّمه في خدمة الرسالة الإسلامية بعد أن جرَّده من اللغو والدعوة إلى أتباع الهوى والتحريض على العنف والفاحشة والاستغراق في الدنيا وملذاتها الأمر الذي كان موضوع أكثر أدب التراث. وبذلك فقد قام بحركة تجديدية إحيائية في العربية.

وبما أن نصوصه العربية مرتبطة بدعوته، فأصبح لزاما على من يؤمن به وينضم إلى جماعته أن يرقِّي لغته ويتعلم من علومه، وبذلك فقد أحدث نهضة في أتباعه بحيث أخذوا يتقدمون ويترقون في العربية، وأثّر أيضا في معارضيه الذين اضطروا إلى مراجعة نصوصه ومحاوله نقدها مما يوجِّه الأنظار إليها. والنتيجة النهائية هي أن العربية وتراثها قد أصبحت من جديد في قلب الحدث، وازداد الاهتمام بها سواء ممن آمن به واتبعه أو ممن يعارضه. وهذه هي سنة الله تعالى، الذي له جنود السماوات والأرض، بحيث يستخدم خلقه مهما كانت نياتهم وتوجهاتهم لخدمة مشيئته ويسيرهم عليها طوعا أو كرها.

وبفضل الله تعالى، فإننا نرى في الجماعة الإسلامية الأحمدية أن العرب قد طوروا لغتهم كثيرا وتفجرت

ولكن المعركة كانت حامية الوطيس، وللأسف، قد حُسمت نسبيا لمصلحة أعداء اللغة والتراث من الملحدّين أو الذين يضمرون الإلحاد، وأصبحوا ممجّدين الآن، مع أنهم كانوا عناصر تخريب سيكتشف الناس يوما ما فعلوه وينبذونهم.

من هؤلاء كان المدعو طه حسين، الذي لا يضرُّه أنه كان ضريرا، بل ما يضرُّه أنه كان ملحدا أعمى بصيرة، وقد تجرَّأ إلى درجة أن أصدر كتابا بعنوان «في الشعر الجاهلي» شكك فيه في الإسلام والأنبياء وتاريخ العربية وعدَّ أن النبوة كذبة كبيرة وأن الشعر الجاهلي لم يكن سوى أكذوبة اخترعها المسلمون في العصر الأموي وما بعده، وقَدَّم بعض القرائن التي تدل على انحراف نفسي فادح أقرب إلى الجنون نتيجة استيلاء سوء الظن عليه. وقد ثارت ضجة في ذلك الحين، وتعرَّض للمحاكمة، ثم اضطر لتعديل الكتاب وأصبح بعنوان «في الأدب الجاهلي»، ولكن تياره الإلحادي المشكك في الإسلام والداعي إلى نبذ التراث العربي باعتباره ليس إلا مجرد أكاذيب، ثم أسلوبه في الكتابة الخالي من الجمال والقوة والجزالة والمنقطع عن تراث العربية قد ساد، وأصبح يسمى ظلما وعدوانا من تياره بـ «عميد الأدب العربي»! بصفته مبتدع الكتابة العربية المعاصرة الخالية من القوة والجزالة والمحسّنات اللفظية والبديعية التي أصبحت بنظره ونظر تابعيه أمورا تافهة ممجوجة مملّة. ثم أدى هذا التيار إلى التباعد عن العربية شيئا فشيئا إلى أن وصل الحال إلى ما هو عليه الآن، بحيث قلَّ بشدة من يتكلم أو يكتب بعربية صحيحة سليمة قويمّة، بحيث تشعر عندما تقرّأ له أو تسمع بأنه استمرار للتراث والأدب العربي وتشمُّ في



وفي ظل هذه الظروف، وفي حلقة هذا الزمان، شاء الله تعالى أن يحيي الإسلام ويحيي العربية معه، فأرسل المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام لينفخ روحا في الإسلام ويعيده إلى مجده وقوته، وتعلو حجته الدامغة وتظهر على الإلحاد والأديان والفلسفات كلها، وسلّحه بعربية إعجازية رائعة بديعة أعادت ربط الأدب العربي بالتراث، فكتب شعرا ونثرا حاكي فيه بدائع الأدب العربي، وقَدَّمه في خدمة الرسالة الإسلامية بعد أن جرّده من اللغو والدعوة إلى أتباع الهوى والتحريض على العنف والفاحشة والاستغراق في الدنيا وملذاتها الأمر الذي كان موضوع أكثر أدب التراث.

الرائعة الجميلة التي تحاكي التراث وتمثله في قوته وجزالته. أما لو بقي الحال على ما هو عليه فرمما لم يكن ليأتي قرن آخر إلا ولم يبق من العربية إلا القشور، ولأصبحت اللهجات العربية لغات، ولضاعت العربية إلى الأبد. وأقول أخيرا لحافظ إبراهيم وللشرفاء من أدباء العرب وشعرائهم ممن كان يحزنهم حال العربية في زمنهم، قرّوا عينا وارقدوا بسلام، فالعربية بخير، وستعود لتكون لغة العالم الأولى في يوم من الأيام مجددا. فالحمد لله رب العالمين على فضله ومننه.

فيهم ينابيع الشعر والأدب، وكذلك قد تطور العجم وعادوا مرة أخرى للاهتمام بالعربية والحرص على تعلّمها والرغبة العارمة في أن يصبحوا متبحرين بها متمكنين منها، بعد أن كانت موجة الإلحاد أيضا قد دفعتهم إلى الاستهانة بها والإعراض عنها. وستمضي الأيام وسيتملّس الناس هذه النهضة الجديدة للغة العربية ويدركونها ويقرونها، وستزداد نسبة المتقنين للعربية سواء من الأحمديين أو المعارضين، وسنشهد مزيدا من النصوص والأشعار والآداب العربية

وبفضل الله تعالى، فإننا نرى في الجماعة الإسلامية الأحمديّة أن العرب قد طورا لغتهم كثيرا وتفجرت فيهم ينابيع الشعر والأدب، وكذلك قد تطورا العجم وعادوا مرة أخرى للاهتمام بالعربية والحرص على تعلّمها والرغبة العارمة في أن يصبحوا متبحرين بها متمكنين منها، بعد أن كانت موجة الإلحاد أيضا قد دفعتهم إلى الاستهانة بها والإعراض عنها.